لقوله: «إنّما خرم * والضمير ـ كما هو معلوم ـ يعود على الله ـ عز
وجل .
٢ـ أن الميتة حرام، وظاهر الآية العموم، لكن قد دل الدليل أن من الميتات ما هو حلال، ومن ذلك صيد البحر؛ فإن ميتته حلال؛ لقول الله
ل
تبارك وتعالى: «أحل لكم صيد البحر وطعامه متنعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذى إليه تحشرون و [المائدة: 96]؛ قال ابن عباس رضي الله عنها: «صيده ما أخذ حيا، طعامه ما أخذ ميتا». وفي حديث ابن عمر رضي الله عنها عن النبي ﷺ أحلت لنا ميتتان ودمان: أما الميتتان: فالجراد والحوت، وأما الدمان: فالطحال والكبد»)؛ وعلى هذا فميتة السمك: حلال، وميتة الجراد: حلال. والحكمة في حل ميتة الجراد مع أنه صيد بري، أنه ليس فيه دم، والعلة في تحريم الميتة: احتقان الرطوبات والدم فيها؛ ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «ما أنهر الدم، وذكر اسم الله عليه، فكلوا إلا السن والظفر»(٢).
فدل ذلك على أن الحكمة من إباحة المذكى: كونه قد نزف دمه، ولم
يحتقن، ولم يبق في العروق.

(١) رواه أحمد (٥٦٩٠)، وابن ماجة كتاب الأطعمة، باب الكبد والطحال، رقم (٣٣١٤). (٢) رواه البخاري كتاب الشركة، باب قسمة الغنم، رقم (٢٤٨٨)، ومسلم كتاب الأضاحي باب جواز الذبح بكل ما أنهر الدم إلا السن والظفر، رقم (١٩٦٨).

سورة البقرة

3ـ أن الدم حرام، وقد بينا في تفسيرها أن المراد به: الدم المسفوح الذي يخرج من الحيوان عند ذبحه وتذكيته، فأما الدم الذي يبقى بعد التذكية في العروق، فإنه حلال وليس بحرام؛ كدم الكبد، ودم القلب والطحال، وما أشبه ذلك؛ وذلك لأنه من مذكاة، فيكون حلالا كاللحم، أي: اللحم المذكي.
٤ـ تحريم لحم الخنزير، والخنزير : حيوان معروف خبيث، من خصائصه: أنه يأكل القاذورات كالعذرات، وأنه لا غيرة فيه على أنثاه، وأن في لحمه جراثيم مضرة، مهلكة، مفسدة للطبائع؛ ولهذا حرمه الله ـ عز وجل ـ فقال: «ولحم الخنزير ؟ . هـ أنه لا يحل من الخنزير أي جزء من أجزائه؛ لعموم قوله تعالى: ولحم الخنزير ؛ فلا تحل كبده، ولا أمعاؤه، ولا كلاه، كل ما فيه فهو حرام.

وننتقل من هذه الفائدة إلى فائدة أخرى تتعلق بالوضوء، وذلك: أن النبي ﷺ أمر بالوضوء من لحم الإبل؛ فقال: «توضؤوا من لحوم الإبل» ، وسئل ﷺ: أتوضأ من لحوم الإبل؟ قال: «نعم»، قال: أتوضأ من لحوم الغنم؟ قال: «إن شئت» (٢)؛ فكونه ﷺ يرد الوضوء من

(١) رواه أحمد (١٨٦١٧) عن أسيد بن حضير، ورواه ابن ماجة كتاب الطهارة وسننها، باب ما جاء في الوضوء من لحوم الإبل، رقم (٤٩٧) عن عبدالله بن عمر رضي الله عنها. (٢) رواه مسلم كتاب الحيض، باب الوضوء من لحوم الإبل، رقم (360).

أحكام من القرآن الكريم

لحم الغنم إلى المشيئة، ويجزم بالوضوء من لحم الإبل، دليل على أن الوضوء من لحم الإبل واجب، وأن الوضوء من لحم الغنم ليس بواجب، وهو كذلك.
ولكن ما المراد بلحوم الإبل؟ المراد: جميع أجزائها، كما قلنا في لحم الخنزير؛ فإذا أكل الإنسان شيئا من لحم الإبل: من الكبد، أو الأمعاء، أو الكرش، أو القلب، أو الفخذ، أو من أي موضع كان، فإنه يلزمه أن يتوضأ، سواء أكل اللحم نيئا أو مطبوخا. ولكن لا حرج عليه إذا أكل أن يتوضأ وضوءا فقط، دون أن يغسل الفرج، بل لا يغسل الفرج؛ لأن غسله في هذه الحال تعنت وبدعة؛ فإن غسل الفرج إنها يجب من بول أو

غائط، وإذا لم يكن بول ولا غائط فليس هناك شيء يغسل. 6ـ تحريم ما ذبح لغير الله؛ لقوله تعالى: (وما أهل بي لغير الله ؟ . . ـ تحريم ما ذكر غير اسم الله عليه، وإن كان القصد منه ليس لغير الله؛ لقوله: «وما أهل به، لغير الله ؟. فإذا قال الرجل إذا أراد أن يذبح الذبيحة: باسم الوطن، باسم الرئيس، باسم فلان، أو فلان، فإن الذبيحة لا تحل، حتى وإن كان قد قصد بها شيئا مباحا، كما لو قصد بها الأكل، فإنها لا تحل؛ لأنه أهل بها لغير الله.

٨ـ سعة رحمة الله - عز وجل ـ حيث أباح هذه المحرمات عند الضرورة؛ لقوله تعالى: (فمن أضطر غيرباغ ولا عاد فلا إثم عليه ؟. فإن قال قائل: هل تجيزون أن يتداوى الإنسان بالمحرم قياسا على

سورة البقرة

٦٠٣

أكل هذه الأربعة عند الضرورة؟
قلنا: لا، لا نجيز ذلك؛ وذلك لأن الدواء قد يحصل به الشفاء، وقد لا يحصل، بخلاف أكل الميتة وما عطف عليها للمضطر، فإنه يحصل به الشبع قطعا، والوجه الثاني من الفروق بين هذه وهذه: أن الشفاء لا يتعين بتناول هذا الشيء المحرم، بل قد يشفى بدون تناوله، أو بتناول شيء مباح، وأما المضطر فيتعين زوال ضرورته بأكله من هذه المحرمات؛ لأنه ليس عنده شيء سواها.
9- إثبات القاعدة المشهورة عند أهل العلم، وهي: أن الضرورات تبيح المحظورات، كما أن الواجبات تسقط بالعجز؛ لقوله تعالى: «فمن أضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيمه . ١٠ - اعتبار النية والمقاصد؛ لقوله: «غير باغ ولا عاد . وهذ أمر معلوم من الشريعة فتجد الرجل يأكل هذه الأكلة ليستعين بها على محرم، فتكون حرامًا، ويأكل هذه الأكلة، ليستعين بها على مأمور، فتكون مأمورا بها، نعم، الأعمال بالنيات، تجد هذا الرجل يبيع السلاح، يكون مرة بيعا حراما، إذا باعه في حال فتنة بين المسلمين، على رجل يقتل به مسلما، ويكون حلالا إذا باعه على من يستعمله في الحلال،، وهلم جرا.
هذه القاعدة المفيدة، مأخوذة من قوله: «غير باغ ولا عاد ؟ ١١- أن هذا التخفيف على العباد من مقتضيات كونه تعالى: غفورا

٦٠٤

أحكام من القرآن الكريم

رحيما؛ لقوله: «إن الله غفور رحيم
١٢- إثبات هذين الاسمين الله - عز وجل -: «الغفور» و«الرحيم». و«الغفور»: هو الساتر لذنوب عباده، المتجاوز عنها؛ فالغفر، بمعنى: الستر والتجاوز، يدل على ذلك اشتقاقه؛ لأنه مشتق من المغفر، والمغفر: ما يوضع على الرأس عند الحرب، لاتقاء السهام أن تقع على الرأس؛ ففيه ستر، وفيه وقاية، وليس الغفر مجرد الستر، فالغفور: هو المتجاوز عن سيئات عباده، الساتر لها. و«الرحيم»: ذو الرحمة، ورحمة الله: عامة، وخاصة. فالعامة: هي التي تشمل المؤمنين والكافرين، والخاصة: هي التي تختص بالمؤمنين؛ ومنها قول الله تعالى: ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما * [الأحزاب: ٤٣].
١٣- الصفة الكاملة التي تحصل من اجتماع هذين الاسمين: الغفور الرحيم؛ لأن بالمغفرة

زوال المكروه، وبالرحمة حصول المطلوب، فبمغفرته ـ سبحانه وتعالى ـ يحدث العفو، وبرحمته يحصل الفضل؛

ولهذا نجد الله - سبحانه وتعالى ـ يقرن بين هذين الاسمين كثيرا. ١٤ـ جواز أكل هذه المحرمات للمضطر الذي اضطر إلى أكلها، بحيث يخاف التلف إذا لم يأكل.
١٥ـ بيان رحمة الله تعالى بعباده، حيث أحل لهم هذه المحرمات عند

الاضطرار، لدفع ضرورتهم.
١٦ـ أنه لا يحل لمن أبيح له أكل هذه المحرمات للضرورة، إلا ما

سورة البقرة

١٦٠٥

تدعو الضرورة إليه؛ بحيث لا يتجاوز أكثر ما يحتاج إليه، ولا يزيد عليه. وعلى هذا فلا يأكل إلا ما يسد حاجته فقط، ولا يملأ بطنه
بذلك.

ولكن إذا خاف أن تبقى ضرورته، فله أن يتزود من هذه المحرمات، حتى يضطر إلى أكلها مرة ثانية. ١٧ـ الرد على المشركين فيها حرموه من بهيمة الأنعام، وهو ما رده الله عز وجل عليهم في قوله: « ما جعل الله من تجيرة ولا سايبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا
يعقلون) * [المائدة: 103].

].

ثم قال الله تبارك وتعالى: « إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتب ويشترون به ثمنا قليلا أولئيك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيم ولهم عذاب أليم
>
[البقرة: ١٧٤].
هذه الجملة مؤكدة بـ «إن»، فإن * أداة توكيد، و الذين » اسمها، وجملة «أولتيك ما يأكلوت في بطونهم إلا النار» خبرها. يكتمون » أي: يخفون.

ما أنزل الله من الكتب : الكتاب هنا مفرد، والمراد به الجنس، أي: الكتب، فيشمل ما أنزل الله من القرآن، والتوراة، والإنجيل

TVL

٦٠٦

أحكام من القرآن الكريم

وغيرها من الكتب المنزلة على الرسل.
ويشترون به ثمنا قليلًا ؟ أي: يأخذون به ثمنا قليلاً؛ لأنهم

يخفونه لينالوا الجاه، أو لينالوا المال، أو ينالوا الحظوة عند الزعماء.
وأولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار» وهذا متعين فيها إذا كتموه من أجل المال، فإنهم لا يأكلون في بطونهم إلا النار؛ لتحريم هذا المال عليهم؛ لأن هذا المال حرام عليهم من وجهين: الوجه الأول: أنهم أخذوه بغير حق.

والوجه الثاني: أنهم كتموا من أجله الحق. ولا يكلمهم الله) يعني: تكليم رضا، ولكنه يكلمهم تكليم إهانة؛ كقوله تعالى حين يقول أهل النار: (ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظلمون) قال أخسئوا فيها ولا تكلمون ﴾ [المؤمنون: ١٠٧-١٠٨] ولا يزكيهم﴾ أي: لا يطهرهم من آثامهم؛ لأنهم ليسوا أهلا
لذلك.

ولهم عذاب أليم﴾ أي: مؤلم.
في هذه الآية من الفوائد والأحكام، ما يلي: ١- تحريم كتم ما أنزل الله من الكتاب، وهذا يستلزم وجوب بيان ما أنزل الله من الكتاب، ولكنه لا يلزم إلا إذا اقتضت الحال بيانه، إما بسؤال سائل بلسان المقال، أو بسؤال سائل بلسان الحال: أما لسان المقال: فأن يأتي رجل إلى عالم من العلماء، ويقول: ما تقول في كذا

سورة البقرة

وكذا؟ فيفتيه. وأما لسان الحال: فأن يرى الإنسان شخصا يتعبد الله تعالى عبادة على غير وجه صحيح، فيجب عليه في هذه الحال أن يبين له الحق في ذلك.
٢ـ إثبات علو الله ـ عز وجل ـ؛ لقوله: ما أنزل الله من

الكتب.
3ـ أن الكتب التي جاءت بها الأنبياء منزلة من عند الله . ٤ـ تحريم أخذ العوض على كتمان الحق؛ لقوله: «ويشترون به
ثمنا قليلًا .

فإن قيل: وهل يحرم العوض على بيان الحق؟ بمعنى: أن يعطى العالم أجرة على بيان الحق؟ والجواب على ذلك أن نقول: إن تعين عليه بيان العلم، حرم عليه أخذ العوض عليه، وإن لم يتعين، فله أخذ العوض، ولكن يكون من بيت المال، لا على سبيل الاستئجار.
هـ أن كل ما يكون من متاع الدنيا، فإنه قليل؛ لقوله تعالى: «ثمنا قليلًا» ويشهد لهذا قوله تعالى (قل متنع الدنيا قليل والأخرة خير لمن اتقى ﴾ [النساء: ٧٧].
6ـ أن كتم ما أنزل الله من الكتاب ليشتري به الإنسان ثمنا قليلا، من كبائر الذنوب؛ لوجود الوعيد عليه في قوله: «أولتيك ما يأكلوت في بطونهم إلا النار».

١٦٠٨

أحكام من القرآن الكريم

7- إثبات كلام الله - سبحانه وتعالى ـ لأن نفي تكليمه لهؤلاء، دليل على أنه يكلم غيرهم. وأهل الحق من السلف والخلف يثبتون أن الله تعالى يتكلم بحرف، وصوت مسموع، ومن ذلك: القرآن الكريم، فإنه كلام الله تعالى، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، كما قرر ذلك أهل السنة والجماعة.

٨- إثبات يوم القيامة، وهو اليوم الذي يبعث فيه الناس من قبورهم. وسمي يوم القيامة؛ لأن الناس يقومون فيه من قبورهم الله - عز وجل -، ولأنه يقام فيه العدل؛ كما قال تعالى:« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ﴾ [الأنبياء: 47]، ولأنه يقوم فيه الأشهاد؛ كما قال تعالى: ﴿ إنّا لتنصر رسلنا والذين ءامنوا في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهد ﴾ [غافر: ٥١].
9- أن الله تعالى يزكي من يشاء؛ فإن نفي التزكية لهؤلاء، دليل على ثبوتها لضدهم.

10- أن هؤلاء «إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتب ويشترون به ثمنا قليلًا * لا يزكيهم الله يوم القيامة، بل هم أهل الفسق والجور.
11- أن هؤلاء - مع إعراض الله عنهم، وعدم تكليمه إياهم، وتزكيته لهم - لهم عذاب أليم، أي: عذاب مؤلم، وذلك عذاب النار؛ لشدته وعظمته - نعوذ بالله من النار - فإن النبي ﷺ أخبر أن: «نار

سورة البقرة

جهنم فضلت على نار الدنيا كلها بتسعة وستين جزءا»(1) أي: أن نار الدنيا كلها جزء من سبعين جزءا من نار جهنم.أعاذنا الله وإياكم منها، وجعلنا وإياكم من أهل النعيم المقيم في جوار رب رحيم، إنه على كل شيء قدير.

قال الله تعالى: « أولئك الذين اشتروا الضلة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ﴾ [البقرة: 175].
ج
أولئك» يشير إلى الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب

ويشترون به ثمنا قليلا.

609

١٧٠

الهدى.

الذين اشتروا الضلة بالهدى » أي: اختاروا الضلالة على

والعذاب بالمغفرة * اختاروا العذاب بالمغفرة. وهم قد يختارون ذلك عمدا، وقد يختارون ذلك عمى؛ لأنهم زاغوا، فأزاغ الله قلوبهم. فما أصبرهم على النار يعني: أن النار عذابها أليم، وحرها شديد، وهؤلاء يصبرون على ذلك؛ لأنهم يتادون في طغيانهم
وضلالهم.

(١) رواه البخاري كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، رقم (٣٢٦٥). ومسلم كتاب الجنة، باب في شدة حر نار جهنم، رقم (٢٨٤٣).

=١١١٥

أحكام من القرآن الكريم

في هذه الآية من الفوائد والأحكام، ما يلي: 1ـ أن هؤلاء الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب، ويشترون به ثمنا قليلا، اختاروا هذا اختيار رغبة؛ لأنه شبه اختيارهم إياه، بالاشتراء، والمشتري يرغب ما اشتراه.
-
من
صفات
٢ـ أن الجزاء من جنس العمل؛ لأنهم لما اشتروا الضلالة بالهدى، صاروا كالذين اشتروا العذاب بالمغفرة، أي: مغفرة الله ـ عز وجل ـ 3ـ إظهار التعجب في كلام الله - عز وجل ؛ لقوله: «فما أصبرهم على النار بل عجبت ويسخرون ﴾ [الصافات: ١٢]. وهل يعجب الله سبحانه وتعالى ـ من شيء؟ الجواب: نعم، العجب: صفة الله تعالى، أثبتها الله تعالى في كتابه، على قراءة من قرأ قوله ـ تعالى ـ بل عجبت ويسخرون، وكذلك النبي ﷺ قال: «ضحك ربنا من قنوط عباده، وقرب غيره»، وفي حديث آخر : أخبر النبي ﷺ أن الله ـ تبارك وتعالى ـ «يشرف عليكم ـ يعني: عباده ـ آزلين آدلين مشفقين، فيظل يضحك، قد علم أن غيركم إلى قرب»(٢) . والعجب الصادر من الله ـ عز وجل ـ ليس هو كالعجب الصادر من الإنسان؛ لأن العجب الصادر من الإنسان، منشؤه استغراب الأمر، وعدم العلم بمقدماته، أما الله ـ عز وجل ـ فإنه لا يخفى عليه

(1) أخرجه ابن ماجه: في المقدمة، باب فيها أنكرت الجهمية، رقم (١٨١). (٢) رواه أحمد (١٥٧٧٣).

سورة البقرة

خافية، ويكون عجبه من أجل خروج الشيء عما ينبغي أن يكون عليه. ٤- إثبات عذاب النار؛ لقوله: «فما أصبرهم على النار .

**

*

611

*

ثم قال الله تعالى: (ذلك بأن الله نزل الكتب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتب لفي شقاق بعيد ﴾ [البقرة: ١٧٦]. ذلك أي: ما أشار الله إليه من العذاب لهؤلاء، والعقوبات

التي ذكرها الله تعالى في الآيات السابقة. بأن الله نزل الكتب بالحق ؟ وإذا كان نزل الكتاب بالحق، فإن

الذين يضلون عن الحق سوف يكونون في شقاق بعيد؛ ولهذا قال: وإن الذين اختلفوا في الكتب لفي شقاق بعيده .

في هذه الآية من الفوائد والأحكام، ما يلي: 1- إثبات أن الله نزل الكتاب.
٢- إثبات على الله ـ عز وجل ؛ لقوله: «نزل الكتب بالحق»،
والتنزيل لا يكون إلا من أعلى.
٣-أن الكتب نازلة من الله حقا؛ لقوله: «بالحق، وأنها نازلة بالحق أيضا، فقد جاءت بالحق، وهو: الصدق في الأخبار، والعدل في الأحكام.

٤-أن المختلفين في الكتاب، المخالفين له، في شقاق بعيد، أي: في مشاقة ﷺ مباعدة عن الحق. «بعيد»؛ لأنهم يجادلون في الحق بعدما تبين.

أحكام من القرآن الكريم

ما تتضمنه كتب الله، فهو حق؛ لأنها أخبار صادقة،

٥ـأن
، جميع
وأحكام عادلة.

6ـ أن نزول الكتب من عند الله، نزول بالحق الثابت، الذي لا مرية فيه.

ـخطـر الاختلاف في الكتاب، وأن الإنـسـان قـد يـبـتلى عنـد الاختلاف في الكتاب، بالمشاقة البعيدة الله ولرسله.

ثم قال تعالى: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من ءامن بالله واليوم الآخر والمليكة والكتب والنبيين وءاتي المال على حبه، ذوى القرى واليتمى والمسكين وابن السبيل والشايلين وفي الرقاب وأقام الصلوة واتى الزكوة والموفون بعهدهم إذا عهدوا والصبرين في البأساء والضراء وجين البأس أوليك الذين صدقوا وأولتيك هم المتفون ﴿ [البقرة: 177]ـ
وليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب » «البر» هـو الخير، و«التولي» بمعنى: الاتجاه. و«قبـل المـشرق» أي: جهـة المشرق والمغرب.

يعني: أنه ليس البر في أن يولي الإنسان وجهه قبل المشرق أو قبـل المغرب، وإنما البر هـو الإيـان بـالله ـ عـز وجـل ـ، والقيـام بطاعتـه ـ سبحانه وتعالى ـ سـواء أمـر بالاتجاه إلى المشرق أو المغرب، أو إلى

سـورة البقـرة

613|

الجنوب، أو إلى أي جهة كانت؛ لأن المقصود هو الإيمان بالله ـ سـبحانه وتعالى ـ ولهذا قال: «ولكن البر من ءامن بالله ؟ أي: أن البر بر من آمن بالله واليوم الآخر.
و «الإيمان بالله» هـو: التصديق، وهـو الإقرار المستلزم للقبـول

والإذعان.
و «الله» : اسم من أسماء البارئ جل وعلا، وهو الاسم الخاص بـه الذي لا يسمى به غيره، ولا يستحق أن يوصف بمدلوله أحد سواه. و اليوم الآخر يعني: يوم القيامة، وسمي بـ«اليـوم الآخـر»؛ لأنه لا يوم بعده.
و الملائكة»: جمع ملك، وهم العالم الغيبي، الذين وصـفهـم الله - سبحانه وتعـالى ـ بأوصـاف وأفعـال جـاءت في الكتـاب والـسنة، فالملائكة: عالم غيبي، وعباد الله تعالى، يفعلون ما

يؤمرون ، ولهم أعـال وأوصاف مذكورة في الكتاب والسنة.
و الكتاب : اسم جنس، والمراد بـه: جميع الكتـب المنزلـة عـلى
الرسل.

«والنبيين » : جمع نبي، وهو شامل في هذه الآية للأنبياء والرسل. واتى المال » : أي: أعطى
المال.
على جبه * : أي: على محبته له، وحاجته إليه. وذوى الفرن » : أي: أصحاب القرابة.

= 6141

أحكام من القرآن الكريم

«واليتنمى » : جمع يتيم، واليتيم هو: الذي مات أبوه ولم يبلغ . والمسكين » : هم الفقراء الذين
أسكنهم الفقر. وابن السبيل * : أي: صاحب السبيل، و«السبيل» هو: الطريق.

والمراد بـ«ابن السبيل»: المسافر الذي انقطع به السفر. والشايلين * : أي: المستجدين، الذين
يسألون الناس. (وفي الرقاب ← : أي: وأتى المـال في الرقـاب، وهـم: الأرقـاء، يشتريهم
ويعتقهم.
وأقام الصلوة»: أتى بهـا مـستقيمة، و«الصلاة» هنـا شـاملة

للفريضة والنافلة.

وءاتي الزكوة»: أي: أعطاها، ومفعول آتى» الثاني محذوف،
أي: آتى الزكاة مستحقها.
والموفوت بعهدهم إذا عهدوا ← أي: الذين إذا عاهدوا أحـدا

من الناس أوفوا بعهدهم، أي: أعطوه وافيا لا نقص فيه. والصبرين في البأساء والضراء
وحين البأس .
والبأساء : الفقر.

والضراء : المرض.
وجين البأس ؟ : القتال والحرب.

أوليك الذين صدقوا » : أي: أولئك المتصفون بهذه الصفات،
هم الذين صدقوا، أي: صدقوا مع الله - سبحانه وتعالى - بإخلاصهم

سورة البقرة

615

له، وقيامهم بطاعته.
وأولتيك هم المتقون» أي: هم الذين قاموا بالتقوى على حسب
ما جاء في كتاب الله تعالى، وما جاءت به رسله.
هذه الآية الكريمة اشتملت على فوائد عظيمة وأحكام

جمة، منها:
1- أن البر ليس بالأعمال المطلقة، وإنا هو - أي: البر - بالأعمال الصادرة عن الإيمان بالله، واليوم الآخر . . . إلخ.
٢- أن الإيمان بالله من البر. والإيان بالله يتضمن أربعة أشياء: الأول: الإيمان بوجوده، والثاني: الإيان بربوبيته، والثالث: الإيمان بألوهيته، والرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته. فمن أنكر وجود الله، فليس بمؤمن، ومن أقر به - أي: بوجوده - ولكنه انتقص شيئا من ربوبية الله - سبحانه وتعالى - بأن زعم أن - الله - سبحانه وتعالى -، مشاركا في الخلق، أو الملك، أو التدبير، فليس بمؤمن بالله. ومن آمن بذلك، ولكنه لم يؤمن بألوهيته، بل صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله، فليس بمؤمن بالله. ومن آمن بذلك ولكنه أنكر أساءه وصفاته، فليس

بمؤمن بالله. فلا يتم الإيمان بالله إلا بالإيمان بالأمور الأربعة. 3- الإيمان باليوم الآخر - وهو يوم القيامة - وهو يشمل الإيان بوجود هذا اليوم، وأن الناس سيبعثون يوم القيامة، وكذلك الإيمان با سيكون في هذا اليوم من الأهوال العظام، وما يكون من نشر الكتب:

616

أحكام من القرآن الكريم

كتب الأعمال، وإقامة الوزن، والصراط، وحوض النبي ﷺ، وغير ذلك مما جاء في الكتاب والسنة.
٤- ومنه - أي: من الإيمان باليوم الآخر - الإيمان بها يكون بعد الموت، من فتنة القبر، وعذاب

القبر، ونعيم القبر؛ فإن الناس يفتنون في قبورهم، فيسأل المرء عن ربه، ودينه، ونبيه؛* يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿ [إبراهيم: ٢٧]، فيقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ونبيي محمد ﷺ، ويضل الله الظلمين ويفعل الله ما يشاء ﴿ [إبراهيم: ٢٧].

ع

وأنت ترى أن الله تعالى دائما يقرن بين الإيان به والإيـان باليوم الآخر؛ لأن الإيمان باليوم الآخر، هو الذي يحـدو الإنسان إلى العمـل؛ وهو الذي يحدو المرء إلى الاستقامة على دين الله، وعلى شرع الله ـ عـز وجل ؛ لأنه إذا كان يؤمن بأن هناك عقابا في تـرك الـواجـب، وفعـل المحرم، وثوابا في فعل الواجـب، وتـرك المحـرم، فإنـه سـوف ينهض ويعمل لهذا اليوم العظيم.

هـ الإيمان بالملائكة، والملائكة لهم أعال، ولهم أوصاف، على حسب أمر الله تعالى لهم؛ يقول الله تبارك وتعالى:* جاعل الملتيكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلث وربع يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾ [فاطر: 1].

ومن أجل الملائكة وأشرفهم الملائكة الثلاثة: جبريل، وميكائيل،

وإسرافيل. وكان النبي ﷺ يستفتح صـلاة الليـل فـيقـول: «اللـهـم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيـب والشهادة، أنت تحكم بين عبـادك فـيـا كـانـوا فـيـه يختلفـون، اهـدني لمـا اختلـف فـيـه مـن الحـق بإذنـك؛ إنـك تهـدي مـن تـشاء إلى صراط مستقيم»)؛ فجبريـل مـوكـل بـالوحي، وإسرافيـل مـوكـل بـالنفخ في الصور، وميكائيل موكـل بـالقطر والنبات، فكـل واحـد مـن هـؤلاء الثلاثة موكل بما فيه الحياة؛ ولهذا كان النبي ﷺ يستفتح في صلاة الليـل با ذكرنا.

ومن الملائكة: ملك الموت الموكل بقبض الأرواح، قال الله ـ تبارك وتعالى -: «قل يتوفنكم تلك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴿ [السجدة: 11]، وقد ورد في بعض الآثار أن اسمه: عزرائيل، ولكنه لا يصح عن المعصوم ﷺ؛ ولهذا يكفينا أن نقول: ملك الموت، دون أن نسميه باسم آخر.

ومن الملائكة المعينين: «مالك»، خازن النار؛ لقوله - تعالى -:
ونادوا ينملك ليقض علينا ربك قال إنكر منكثون ﴾ [الزخرف: 77].

ومن الملائكة: الملائكة الذين يكتبون ما يقوله الإنسان وما يفعله،
بل وما يهم به؛ يقول الله ـ تعالى ـ: « إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن

(1) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم (٧٧٠).

618

أحكام من القرآن الكريم

الشمال قعيد) ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ [ق: ١٧، ١٨] الملائكة: الملائكة الموكلون بحلق الذكر، يتتبعونها.

١٧

ومن
ومن أراد المزيد من ذلك فليرجع إلى كتاب البداية والنهاية» لابن كثير ـ رحمه الله .

6-الإيمان بالكتب التي أنزلها الله - سبحانه وتعالى ـ على الرسل التي نعرف منها: القرآن الكريم، وهو أشرفها وأجلها، وهو المهيمن عليها، والتوراة التي أنزلها الله على موسى، والإنجيل الذي أنزله الله على عيسى، والزبور الذي آتاه الله داود، وصحف إبراهيم وموسى، والباقي نؤمن به إجمالا.

7-الإيمان بالنبيين، وقد ذكرنا في تفسير الآية الكريمة، أنه يشمل الرسل؛ وذلك أن الله - سبحانه وتعالى ـ جعل من عباده رسلاً وأنبياء. والرسل أشرف من الأنبياء، وأشرف الرسل أولو العزم؛ وهم: إبراهيم، ومحمد، ونوح، وموسى، وعيسى. وترتيبهم في الأفضلية: محمد، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم نوح وعيسى. فمن علمنا رسالته بعينه، آمنا به بعينه، وإلا فنؤمن بهم إجمالا.
هـ الثناء على من أتى المال على حبه لمن يحتاج إليه؛ لقوله ـ تعالى ـ: وءاتي المال على حبه *،

وهذا كقوله في آية أخرى: ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ [الإنسان: 8].
9- إعطاء ذوي القربى ـ أي: القرابة ـ من المال الذي يؤتيه الله من

سورة البقرة

٦١٩

يشاء، يعني: أن لذوي القربى عليك حقا: أن تعطيهم ما أعطاك الله. ثم إن حق ذوي القربى قد يكون واجبا: وهو فيمن تجب عليك نفقته، وقد يكون تطوعا: فيها سوى ذلك.

١٠ـ الإحسان لليتامى ـ وإن كانوا أغنياء ـ وذلك جبرا لما حصل لهم من انكسار القلب، بفقد أبيهم.
١١ـ الإحسان إلى المساكين مطلقا، وهم الفقراء؛ لحاجتهم إلى
ذلك.
١٢. الإحسان إلى ابن السبيل؛ لحاجته إلى ذلك. 13ـ الإحسان إلى السائل، وإعطاؤه ما سأل، ما لم يسأل محرما، وهذا يحتاج إلى تفصيل: فمن علمنا أنه محتاج، كان إعطاؤه بوصف واحد وهو: السؤال، ومن علمنا أنه إنا يسأل استكثارا، فهذا ننصحه ونحذره من السؤال؛ لأن من سأل الناس أموالهم تكثرا، فإنها يسأل جمرا)، ولا تزال المسألة بالرجل، حتى يأتي يوم القيامة وما في وجهه مزعة لحم"، نسأل الله العافية.

4 - فضل بذل المال في إعتاق الرقاب؛ لقوله تعالى: وفي الرقاب. وهذا يشمل أن يشتري الرجل عبدا فيعتقه، أو أن يعين

(١) انظر: مسلما كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة للناس، رقم (١٠٤١). (٢) انظر: البخاري كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثرا، رقم (١٤٧٤)، ومسلما كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة للناس، رقم (١٠٤٠).

١٦٢

أحكام من القرآن الكريم

مكاتبا في كتابته، وغير ذلك من صور الإعانة. ١٥ـ الثناء على إقامة الصلاة، وأنها من البر؛ لقوله تعالى: «وأقام
الصلوة * .
١٦ـ الثناء على إيتاء الزكاة؛ لقوله: «وءاتي الزكوة »، ولكن لا بد أن تكون الزكاة في محلها، أي: في أهلها الذين أمر الله تعالى بصرفها إليهم في قوله: « إنما الصدقات للفقراء والمسكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغرمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ﴾ [التوبة: 60]؛ فلا يجوز أن يحابي الإنسان بها قريبا أو صديقا، أو غير ذلك. بل يعطيها من هو أحوج وأحوج، وإذا اجتمع شخصان مستحقان للزكاة: أحدهما قريب، والثاني غير قريب، فإنها تعطى للقريب؛ لأن صدقتك على القريب صدقة وصلة.
١٧ـ الثناء على الموفي بالعهد، سواء كان العهد مع مسلم، أو مع

كافر.
وإن شئت فقل: إنه يدخل في العهد: القيام بحق الله ـ عز وجل ـ؛ لأن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عهد إلينا ـ بها أعطانا من العقول، وبها أرسل إلينا من الرسل ـ ألا نعبد إلا إياه، وأن نقوم بطاعته على الوجه الذي أمرنا به.
١٨ـ الثناء على الصابرين في الفقر والمرض والحرب؛ لقوله تعالى:

سورة البقرة

١١٦٢١

والصبرين في البأساء والضراء وحين البأس؛ فالصبر في البأساء والضراء: صبر على أقدار الله، والصبر في حال الحرب: صبر على طاعة الله، وعلى أقدار الله أيضا.

١٩ـ الثناء على هؤلاء السادة الذين اتصفوا بهذه الصفات العظيمة
الكاملة، في قوله: «أولتيك الذين صدقوا وأولتيك هم المتقون». نسأل
الله تعالى أن يجعلنا من المتصفين بهذه الصفات، وأن يهيئ لنا من أمرنا
رشدا.

*

قال الله تعالى: (يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الخر بالحر والعبد بالعبد

والأنثى بالأنثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسن ذالك تخفيف من ريكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله, عذاب أليم ﴾ [البقرة: ١٧٨].
ابتدأ الله - سبحانه وتعالى ـ هذه الآية بنداء المؤمنين: «يأيها الذين ءامنوا»، وابتداء الخطاب بالنداء، يدل على أهميته؛ إذ إن النداء يقتضي تنبيه المخاطب، ثم إن توجيهه إلى المؤمنين يدل على أن امتثاله من مقتضيات الإيمان، وأن مخالفته نقص في الإيمان. وقد قال عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: «إذا سمعت الله يقول: «يتأيها الذين ءامنوا»، فأرعها سمعك، فإما خير تؤمر به، وإما شر تنهى عنه» . كتب عليكم القصاص» أي: فرض، ويحتمل أن يكون المعنى:

١٦٢٢١

أحكام من القرآن الكريم

شرع؛ لأن الله تعالى ذكر في هذه الآية العفو، أو يقال: إن «كتب» أي: فرض فيها إذا طلبه صاحب الحق، فإنه فرض على ولاة الأمور تنفيذه. والقصاص في القتلى» : «القصاص» في الأصل: تتبع الأثر، والمراد به هنا: أخذ الجاني بمثل جنايته، أي: قتله إن كان قد قتل، أو قطع عضو منه إن كان قد قطع عضوا، أو ما أشبه ذلك. الحر بالحر والعبد بالعبد * يعني: أنه يقتل الحر بالحر، ويقتل العبد بالعبد؛ لتام المكافأة؛. فالحر مكافئ للحر، والعبد مكافئ للعبد، والأنثى مكافئة للأنثى.
فمن عفى له من أخيه شيء فأتباع بالمعروف» أي: فمن عفي له في القصاص من أخيه شيء ـ قليلا كان أو كثيرا ـ فإنه يتبع طريقين: الأول: اتباع بالمعروف، يعني: أن صاحب الحق يتبع من عليه الحق بالمعروف، فلا يمن عليه، ولا يشاقه. الثاني: «وأداء إليه بإحسان، هذا بالنسبة للمعفو عنه: يجب عليه أن يؤدي بإحسان.
مثال ذلك:إذا عفا عن القصاص إلى الدية، فإن على العافي أن يتبع القاتل بالمعروف في طلب الدية ، وعلى القاتل أن يؤدي إلى العافي الدية بإحسان.
وذالك تخفيف من ريكم ورحمة » أي: إن هذا الحكم يتضمن شيئين: التخفيف، والرحمة.
فكان تخفيفا؛ لأن القصاص في بني

سورة البقرة

٦٢٣

إسرائيل كان مفروضا لا يمكن أن يعفى عنه، وأما في شريعة عيسى - عليه السلام ـ فقد

قيل: إن العفو واجب. ففي التوراة: العفو ممنوع، وفي الإنجيل: العفو واجب، أما هذه الأمة فإنها بالخيار: تخفيف من الله ـ سبحانه وتعالى ـ بإسقاط القتل عن القاتل. ورحمة: بكونه يعطي هؤلاء الذين يطالبون بالحق عوضا عن ذلك،
وهو الدية.
فمن اعتدى بعد ذلك؟ أي: بعد تمام القصاص، أو العفو إلى الدية، أو العفو مجانًا.
فله عذاب أليمه : وذلك أن بعض الناس إذا عفا عن القاتل، حمله الشيطان على أن يأخذ بالثأر مرة أخرى، فيعتدي على القاتل مرة
أخرى.
في هذه الآية من الفوائد والأحكام، ما يلي: ا- فضيلة الإيمان؛ حيث نوه بفضله بتوجيه الخطاب إلى من اتصف به، في قوله: «يتأيها الذين امنوا) .

٢ـ وجوب القصاص في القتلى، ولكن له شروط معروفة، وجاءت بها السنة، وتكلم عنها أهل العلم، ببسط واسع، مذكور في المطولات. 3- أن الحر يقتل بالحر، ولو كان القاتل أفضل من المقتول في علمه ودينه وخلقه. وظاهر الآية الكريمة: أنه عام في قتل المسلم بالكافر، والكافر بالمسلم. أما قتل الكافر، فالصحيح: أنه لا يقتل بالكافر، ولو

١٦٢٤

أحكام من القرآن الكريم

كان للكافر عهد؛ لأن النبي ﷺ قال: «لا يقتل مسلم بكافر»). ٤ـ أن العبد يقتل بالحر؛ لأنه إذا كان يقتل بالعبد، فقتله بالحر من

باب أولى.
وأما عكسه ـ وهو قتل الحر بالعبد ـ ففيه خلاف بين أهل العلم: فمنهم من قال: إن الحر يقتل بالعبد؛ لقول الله تعالى:* النفس بالنفس * [المائدة: 45]، وقول النبي ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»)، ولقول النبي ﷺ: «المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم»(٣).
ومن العلماء من قال : إن الحر لا يقتل بالعبد؛ لأن العبد متقوم،
بخلاف الحر.
والصحيح: أن الحر يقتل بالعبد، إذا علمنا أنه قتله عمدا؛ للأدلة
التي ذكرناها.

هـ أن العبد يقتل بالعبد؛ لقوله: «والعبد بالعبد ، وظاهر عموم

(١) رواه البخاري كتاب العلم، باب كتابة العلم، رقم (١١١). (٢) رواه البخاري كتاب الديات، باب قوله تعالى: «أن النفس بالنفس والعين بالعين رقم (٦٨٧٨)، ومسلم كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم، رقم (١٦٧٦). (٣) رواه النسائي كتاب القسامة، باب سقوط القود من المسلم للكافر، رقم (٤٧٤٦)، وأبو داود كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر، رقم (٢٧٥١)، وابن ماجة كتاب الديات،
باب المسلمون تتكافأ دماؤهم، رقم (٢٦٨٣، ٢٦٨٤، ٢٦٨٥)، وأحمد (٩٦٢، 6973).

سورة البقرة

١٦٢٥

الآية: ولو اختلفا في القيمة، يعني: لو كان المقتول لا يساوي إلا عشرة، والقاتل يساوي آلافا، فإنه يقتل به؛ لعموم قوله: «والعبد بالعبد ؟. 6 ـ أن الأنثى تقتل بالأنثى، وهنا مسألة: هل تقتل بالرجل؟ الجواب: نعم، تقتل بالرجل، أي: إن الأنثى إذا قتلت رجلاً، فإنها تقتل به. ومسألة أخرى: هل يقتل الرجل بالأنثى؟ الجواب: نعم، يقتل الرجل بالأنثى؛ لعموم قوله تعالى: «الخربآخره، ولكن الله تعالى ذكر في الآية: «الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى »؛ لتام المكافأة من
ع

كل وجه.
ـ يستفاد من قوله تعالى: «فمن عفى له، من أخيه شيء ، أنه إذا عفا أحد من الورثة عن القصاص، فإنه يسقط القصاص في حق الجميع؛ تغليبا لجانب الرحمة. ولا فرق بين أن يكون نصيب العافي كثيرا أو قليلا. مثال ذلك: لو فرضنا أن المقتول له عشرة إخوة، وهم ورثته، فطالب تسعة منهم بالقصاص، وعفا واحد منهم عن القصاص، فإن القصاص يسقط، وتجب الدية للجميع. ووجه ذلك قوله: «فمن عفى له من أخيه شيء ؛ فإن كلمة «شيء» نكرة في سياق الشرط فتعم القليل والكثير.

هـ أنه يجب على العافي عن القصاص أن يتبع القاتل بالمعروف، بحيث لا يشق عليه ولا يضجره؛ لأنه عفا عن القصاص، فلم يبق إلا الدية دينا في ذمة القاتل.

ـ وجوب أداء القاتل للدية بإحسان؛ لأن الذي عفا عنه أحسن إليه بإسقاط القصاص عنه، فكان الأداء إليه بإحسان من مكافأته على هذا العمل الجليل.

أحكام من القرآن الكريم

١٠ـ جواز النسخ في شرائع الله، وهو رفع الحكم الثابت بدليل شرعي، بمقتضى دليل شرعي. وقد سبق الكلام في ذلك عند الكلام] على قوله تعالى: « ما ننسخ من ءاية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها (1)
[البقرة: 106].

١١- محبة الله - سبحانه وتعالى ـ للتخفيف على عباده؛ لقوله: ذلك تخفيف من ربكم ». وهذا أمر ظاهر في جميع الشريعة، فالشريعة مبناها على اليسر؛ لقول النبي ﷺ: «إن الدين يسر»، ولقوله تعالى: فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [التغابن: 16]، وقوله: « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقول النبي ﷺ: «إذا أمرتكم بأمر، فأتوا منه ما استطعتم »(٣) .

١٢ـ محبة الله - عز وجل ـ لرحمة العباد؛ فإنه جل وعلا أرحم الراحمين بعباده، كا قال يعقوب لبنيه: « فالله خير حافظا وهو أرحم

(٣)

(١) الجزء الأول من كتاب الأحكام، (ص ٣٨٦). (٢) رواه البخاري كتاب الإيمان، باب الدين يسر، رقم (٣٩). رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم

(٧٢٨٨).

سورة البقرة

الراحمين ﴾ [يوسف: ٦٤].
١٣ـ تحريم اعتداء أولياء المقتول على القاتل إذا عفوا عنه، وأنهم إذا اعتدوا بعد ذلك، أخذوا بها يقتضيه عدوانهم. فلو أن أحدا من ورثة المقتول لم يقتنع بالعفو، فذهب وقتل القاتل، فإنه يقتل، إذا تمت شروط القصاص.
١٤ـ جواز التعبد الله خوفا من عذابه وعقابه؛ لأن الوعيد بالعذاب، يؤثر في كمال العبادة والتعبد. ويتفرع على هذه الفائدة: غلط من قال من بعض الناس: إن كال العبادة أن تتعبد الله تعالى حبا فيه، لا طمعا في ثوابه، ولا خوفا من عقابه؛ فإن هذا قول ليس بصحيح؛ فقد قال الله تعالى عن أشرف الخلق محمد ﷺ وأصحابه: «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ترنهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ﴾ [الفتح: ٢٩].
٤

**

ثم قال الله - تبارك وتعالى -: «ولكم في القصاص حيوة يتأولى الأليب لعلكم تتقون ﴾ [البقرة: 179].
ولكم في القصاص» أي: لكم في قتل القاتل المتعمد ـ إذا تمت الشروط ـ حيوة؛ وذلك أن القاتل إذا علم أنه إذا قتل قتل، فإنه سوف يمتنع عن القتل، فتكون الحياة له، ولمن هم بقتله. و يتأولى الألبب؟ يا أصحاب العقول.

٦٢٨

أحكام من القرآن الكريم

ولعلكم تتقون ؟ أي: فرضنا عليكم القصاص؛ لأجل أن تتقوا
القتل الموجب للقصاص.
في هذه الآية من الفوائد والأحكام، ما يلي:

١ـ
بيان الحكمة من وجوب القصاص، وهي الحفاظ على حياة البشر؛ لقوله تعالى: (ولكم في القصاص حيوة ؟.
٢- الإشارة إلى أن قتل القاتل: عدل، أي: من العدل؛ حيث ساه الله تعالى: قصاصا، وهو: أخذ الجاني بمثل جنايته. 3- أن القصاص سبب للحياة، وليس سببا للموت، خلافا للظا المعتدي

الذي يقول: «إن القصاص زيادة في الموت؛ فإن القاتل إذا قتل، انضم قتله إلى قتل المقتول، فيكون المقتول نفسين»، فيقال: لكننا إذا قتلنا القاتل، امتنع عن القتل آلاف الناس، فكان في ذلك حياة البشر، ولولا العقوبات التي قدرها الله ـ عز وجل ـ في بعض المعاصي، لانتهك الناس هذه المعاصي، ولم يبالوا بها. ٤- فضيلة العقل؛ لقوله: «يتأولي الألبب؛ فجعل الله ـ تعالى - العقل: لبا، ومعلوم أن اللب هو المقصود، وأن القشور ما هي إلا غطاء لحفظ اللب.
هـ أنه يجوز الاستدلال بالعقل في بيان حسن الشريعة، فيا أمرت به، وفيها نهت عنه؛ ولهذا قال بعض أهل العلم: إن الله تعالى لم يأمر بأمر، فيقول العقل: ليته لم يأمر به، ولم ينه عن شيء، فيقول العقل: ليته

سورة البقرة

١٦٢٩

لم ينه عنه .
6 - إثبات التحسين والتقبيح العقليين، بمعنى: أن العقل يشهد بأن هذا حسن، وهذا قبيح، لكن ليس للعقل أن يحلل أو يحرم أو يوجب؛ لأن هذا إلى الله وحده.
- إثبات العلل والحكم، فيا شرعه الله؛ لقوله تبارك وتعالى: لعلكم تتقون»؛ لأن «لعل» هنا للتعليل.

قال الله ـ تبارك وتعالى -: «كتب عليكم إذا حضر أحدكم المؤث إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين *

[البقرة: ١٨٠]
يقول الله ـ عز وجل ـ: «كتب عليكم﴾ أي: فرض. إذا حضر أحدكم الموت» أي: إذا حل به الأجل، وهو كناية عن قرب أجله، با يشاهده في نفسه من المرض. إن ترك خيرا > «الخير» هنا، هو: المال
الكثير.

«الوصية * هذه نائب الفاعل، وعامله: كتب، أي: كتبت عليكم الوصية، وحذفت تاء التأنيث من «كتب»، لوجهين: الوجه الأول: أن الوصية تأنيثها غير حقيقي، والثاني: طول الفصل بينها وبين عاملها. وللوالدين وهما: الأم والأب.

والأقربين؟ وهم: الإخوة وبنوهم، والأبناء وبنوهم، وإن شئت

١٦٣٠

أحكام من القرآن الكريم

فقل: الأبناء والبنات وأولادهم. المهم أن المراد بالأقربين: من كان
أقرب فأقرب.
بالمعروف» متعلق بالوصية، أي: أن يوصي بالمعروف، لا

يتجاوز فيسرف، ولا يقصر.
«حنا» مصدر مؤكد لقوله: «كتب؟.

* على المتقين» أي: على من اتصفوا بتقوى الله ـ عز وجل - ومعنى الآية: أن الله - سبحانه وتعالى ـ فرض على من ترك مالا كثيرا، أن يوصي لوالديه وأقاربه، بالمعروف، وأكد ذلك بأنه حق على المتقين. في هذه الآية من الفوائد والأحكام ، ما يلي: ا- وجوب الوصية للوالدين والأقربين، بالمعروف، بشرط أن يترك خيرا. ولكن هذا العموم مخصص بقوله ﷺ: «إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث»)، أي: أنه مخصص بآيات المواريث. فإن آيات المواريث، جعل الله فيها لكل وارث ما اقتضت حكمته أن يكون له. وعلى هذا: فالورثة لا يوصى لهم؛ لأن الوصية للوارث، تعد لحدود الله ـ عز وجل ـ فمثلاً: إذا أوصى الرجل لأمه

(ا) رواه الترمذي: كتاب الوصايا، باب ما جاء لا وصية لوارث»، رقم (٢١٢١،٢١٢٠)، والنسائي كتاب الوصايا، باب إبطال الوصية لوارث، رقم (٣٦٤١، ٣٦٤٣)، وأبو داود كتاب الوصايا، باب ما جاء في الوصية لوارث، رقم (٢٨٧٠، ٣٥٦٥)، وابن ماجة كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث، رقم (٢٧١٣، ٢٧١٤)، وأحمد (١٧٢١٣، ١٧٦١٧، ٢١٧٩١).

سورة البقرة

631ا

بال زائد على نصيبها من الميراث، فهذا تعد لحدود الله؛ لأن الله جعل للأم السدس، أو الثلث، حسب ما هو معلوم في علم الفرائض. إذا هذه الآية عامة، لكنها خصت بالورثة، فلا يوصى

لهم. وقيل: إن هـذه
الآية منسوخة وأن الوصية لا تجب للأقارب الذين لا يرثون. ولكـن
النسخ يحتاج إلى شرط لا يتحقق في هذه الآية، وهـو ألا يمكـن الجمـع بين النصين، فإن أمكن الجمع بين النصين، فإنـه لا نسخ؛ لأن النسخ يقتضي إبطال أحد النصين ـ وهو أمر ليس بالسهل ـ فإذا أمكن الجمع بين النصين فلا نسخ وهنا يمكن الجمع، فنقول: يجب على الإنسان أن يوصي للأقارب غير الوارثين، إذا ترك مالا كثيرا، وأما الوارثـون فـهـم على ما فرض الله لهم من الميراث. مثال ذلك: رجل مات عن أمه وأبيـه وأخيه الشقيق. أخوه الشقيق لا يرث؛ لأن أباه يحجبه، فيجب على هذا الرجل أن يوصي لأخيه الشقيق بشيء من المال قليلا كـان أو كثيرا، إن ترك مالا كثيرا. أما إذا لم يترك إلا مـالا قليلاً، فإنه لا يجـب عليـه أن يوصي له. وهذا القول ذهب إليه جماعة مـن أهـل الـعـلـم، ومـنـهـم ابـن عباس رضي الله عنها، أي: أنه يجب على الإنسان إذا ترك مالا كثيرا أن يوصي لأقاربه غير الوارثين، بما يشاء، لكن جمهور الأمة على أن الوصية للأقارب غير واجبة.

٢ـ اعتبار قول من حضره الموت، يعني: أن المحتـضـر يعتبر قولـه لكن بشرط: أن يكون معه عقله، فإن لم يكن معه عقله؛ فلا عبرة بقوله.

١٦٣٢

أحكام من القرآن الكريم

3ـ أنه إذا اعتبر قول من حضره الأجل، فإن توبته تقبل؛ ولهذا جاء في الحديث: «إن الله ـ تعالى ـ يقبل توبة العبد، ما لم يغرغر» (١). 4- أن الأحكام منوطة بأسبابها؛ لقوله: «إن ترك خيرا ، وهذا كما
يقال: على الإنسان الزكاة، إن ملك النصاب. هـ أن الله ـ تعالى ـ أرحم من الأولاد بوالديهم؛ لأن الله - سبحانه وتعالى ـ أوصى الأولاد، بل فرض على الأولاد أن يوصوا لوالديهم، وهذا يدل على أنه ـ سبحانه وتعالى ـ أرحم من الإنسان بوالده. وفي قوله ـ تعالى ـ في سورة النساء:*
يوصيكم الله في أولدكم ﴿ [النساء: 11]. دليل على أن الله أرحم بعباده من الوالدين بأولادهما. فيكون الله ـ سبحانه وتعالى ـ أرحم بالأصول من فروعهم، وبالفروع من أصولهم. 6ـ اعتبار الـعـرف؛ لقولـه ـ تعـالى -: «بالمعروف»، وهـذا في مواضع كثيرة. وقد قال أحد الناظمين:

وكـل مـا أتـى ولـم يـحـد بالشرع كالحرز فبالعرف احدد(٢) فالعرف يـكـون مناطـا للأحكـام في مواضـع كثيرة؛ لقولـه

بالمعروف».

(١) رواه الترمذي كتاب الدعوات، باب رقم (٩٨) حديث (٣٥٣٧)، وابن ماجة كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، رقم (٤٢٥٣)، وأحمد: (٦١٢٥، ١٥٠٧٣، ٢٢٥٥٩،٦٣٧٢)
(٢) هو للمؤلف ـ رحمه الله ـ انظر منظومته في أصول الفقه (ص ١٦).

سورة البقرة

|633|

- أن التقوى توجب للإنسان أن يقوم بأمر الله ـ عز وجل ؛ لقوله:«حقا على المتقين ولا شك أن التقوى تحمل الإنسان على
فعل الطاعات وترك المحرمات، بل إن فعل الطاعات وترك المحرمات هو التقوى حقيقة.
٨- تأكيد الوصية للوالدين والأقربين؛ حيث قال: «كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية»، ثم قال: «حقا على
المتقين .
9ـ أن من لم يقم بهذه الوصية؛ فإنه يفوته من التقوى بقدر مخالفته.

قال الله تعالى: « فمن بذله، بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبذلونه إن الله سميع عليم ﴾ [البقرة: ١٨١].
وقمن بدل » أي: غيره، أي: غير الوصية التي فرضها الله ـ عز وجل ـ في الآية السابقة.
بعدما سمعه » أي: علم به، بواسطة السمع. فإنما إثمه على الذين يبذلونه » وليس على الموصي؛ لأن
الموصي قام بها يجب عليه، فصار الإثم على المبدل المغير. وإن الله سميع عليم» أي: يسمع قول من غير الوصية بقوله، ويعلم
حال من غير بقوله أو كتابته أو غير ذلك.

١٦٣٤

أحكام من القرآن الكريم

في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ، ما يلي: ١ـ تحريم تغيير الوصية؛ لقوله: «فمن بذله،

بعدما سمعه، فإنما إثمه على الذين يبذلونه »، ولأن تغيير الوصية؛ تصرف في حق الغير بغير حق، إلا أنه يستثنى من ذلك ما سيأتي في الآية التالية. ٢ـ أن الإنسان إذا عمل الخير، ثم تصرف فيه الغير، بما ليس بخير، فلا إثم على الأول، وإنما الإثم على الثاني؛ لقوله - تعالى -: «فإنما إثمه على الذين يبذلونه .

3- إثبات هذين الاسمين الكريمين الله - عز وجل -، وهما: «السميع»، و«العليم». وقد ذكر العلماء ـ رحمهم الله ـ أن السميع» له معنيان: المعنى الأول: إدراك المسموع، والمعنى الثاني: استجابة الطالب السائل. ومثلوا للأول بقوله ـ تعالى ـ: « قد سمع الله قول التي تجندلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصيره [المجادلة: 1]، ومثلوا للثاني بقوله ـ تبارك وتعالى -: إن ربي لسميع الدعاء ﴾ [إبراهيم: 39]: أي: لمجيبه. وقد سبق لنا تفصيل القول في ذلك. وأما العليم»، فيستفاد منه وصف الله ـ تعالى ـ بالعلم . وعلم الله ـ تعالى ـ محيط بكل شيء، جملة وتفصيلا، فيما كان من فعله ـ عز وجل ، أو من فعل عباده، فيما كان ماضيًا، وما كان حاضرا، وما كان مستقبلاً. ولهذا لما قال فرعون لموسى: « قال فما بال القرون الأولى * [طه: 51]، قال موسى ـ عليه السلام ـ: «قال علمها عند ربي في كتب لا

يضل ربي ولا ينسى﴾ [طه: ٥٢] أي: لا يتصف بالجهل ولا بالنسيان. 4- أن الإيمان بكون الله سميعا عليها، يستلزم ألا يقـول الإنسان قولا يغضب الله ـ عز وجل ؛ لأنه إن قال، فقد سـمعه ـ عـز وجـل ـ وألا يعمل عملا يغضب الله ـ عز وجل ؛ لأنه إن عمـل، فقـد عـلـمـه - عز وجل ـ ، فيوجب الحذر من المخالفة. وبهذه المناسبة، أذكـر إخـواني المسلمين أن ينتبهـوا إلى هـذه المسألة، وهي: أن أسماء الله - سبحانه وتعالى ـ يراد بها الإيمان بها وبمقتضاها، وأن يتعبد الإنسان الله ـ تعـالى ـ
بذلك.

ثم قال ـ تعالى ـ: « فمن خاف من موص جنفا أو إنما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ [البقرة: ١٨٢]. «فمن خاف من موص جنفا » أي: ميلا عن الحق. (أو إنما » أي: تجاوزا للحق.

«فأصلح بينهم » أي: بين الموصي، ومن وراءه من الورثة. فلا إثم عليه ». وهذه الآية كالاستثناء من الآية السابقة في قوله: « فمن بدله، بعدما سمعه، فإنما إثمه على الذين

يبذلونه إن الله ميع عليم ﴾ [البقرة: ١٨١].
وقوله: «إن الله غفور رحيم﴾ أي: ذو مغفرة ورحمة، فيغفر لمن فعل جنفا أو إثا، ويرحم من عدل إلى الصراط المستقيم.

636

أحكام من القرآن الكريم

في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ، ما يلي: 1ـ أن من غير الوصية لكونها تتضمن الجنف أو الإثم، فإنه لا إثم عليه. ونفي الإثم هنا لا يقتضي أنه ليس له أجر، بل له أجر، لكن لما كان في مقابلة ما سبق من الوعيد على من بدل، قال: «فلا إثم عليه ؟. ونفي الإثم هنا: ليس المراد مطلقا نفي الإثم، بل المراد أنه يؤجر على ذلك؛ لأنه مصلح.

٢ـ أنه إذا حصل في الوصية جور أو إثم، فإنه يجب أن يعدل. مثال ذلك: رجل أوصى لأحد الورثة، فيجب أن تلغى هذه الوصية؛ لأنها جنف. ومثال آخر: لو أن رجلا أوصى بأكثر من الثلث، فإنه يجب أن تعدل الوصية إلى الثلث، إلا أن يشاء الورثة. 3- فضيلة الصلح؛ لقوله: «فأصلح بينهم »، « والصلح خير [النساء: ١٢٨]، كا قال الله ـ عز وجل ـ. ويدخل في جميع المعاملات والحقوق، فمتى أمكن الإصلاح، فهو خير، وإذا لم يكن الإصلاح، رجعنا إلى المحاقة والمطالبة ورفع الأمور إلى الحاكم الشرعي. ٤ـ أن الصلح لا بد فيه من رضا الطرفين؛ لقوله: «فأصلح بينهم ؟
٥ـ
ولا يجوز أن يفرض الصلح على أحد الطرفين دون الآخر. ٥ إثبات هذين الاسمين الكريمين الله - عز وجل ـ «الغفور»، «الرحيم».فالغفور: ذو المغفرة، والمغفرة: ستر الذنب والتجاوز عنه. فيستر الله على عبده فلا يعلم به العباد، ويعفو عنه، فلا يعاقبه عليه؛

سورة البقرة

/٦٣٧

لأن «المغفرة» مأخوذة من المغفر، وهو: ما يوضع على الرأس لتوقي السهام.والمغفر فيه الستر والوقاية. وأما «الرحيم»: فهو ذو الرحمة. ورحمة الله - سبحانه وتعالى ـ: رحمة واسعة، كما قال ـ تعالى ـ:

ه ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ [الأعراف: 156]. وقالت الملائكة: * ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما [غافر: 7]. وقد سبق لنا تفصيل القول في الرحمة، وأنها تنقسم إلى قسمين:] عامة، وخاصة، فليرجع إلى
ذلك(1).

نسأل الله ـ تعالى ـ أن يعمنا بمغفرته ورحمته، وأن يجعلنا من عباده الصالحين، وأوليائه المتقين؛ إنه سميع قريب.

قول الله ـ تعالى ـ: « يتأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾ [البقرة: ١٨٣]. يقال في قوله: «يأيها الذين امنوا» ما قيل في سابقتها من أن ابتداء الخطاب بالنداء، يدل على أهميته، وتوجيهه إلى المؤمنين يدل على أن امتثاله من مقتضيات الإيمان، وأن مخالفته نقص في الإيمان. وقوله: (كتب عليكم الصيام » أي: فرض. كما كتب على الذين من قبلكم » أي: كما فرض على الذين

من قبلكم.

ولعلكم تتقون»: لأجل التقوى.

أحكام من القرآن الكريم

في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ، ما يلي: ١ـ وجوب الصيام؛ لقوله ـ تعالى ـ: «كتب عليكم الصيام ؟. ومرتبة صيام شهر رمضان من الدين، أنه أحد أركان الإسلام الخمسة التي بني عليها.
٢ـ أهمية الصيام، وأنه عبادة لا تصلح الأمم إلا بها؛ لقوله: «كما كيب على الذين من قبلكم ، ولا يلزم من كتابته على من قبلنا، أن يكون مماثلا أو مساويا لما كتب علينا، قد يختلف في العدد والزمن. ٣ـ تسلية هذه الأمة، بأن هذا الصيام الذي فيه شيء من المشقة، قد كتب على من قبلنا، ومن المعلوم أن الإنسان يتسلى بغيره فيها يناله من
مشقة.

٤ـ فضيلة هذه الأمة، حيث التحقت بمن سبقها في الفضائل والأعمال الصالحة؛ لقوله: «كما كتب على الذين من قبلكم . هـ أن الصيام سبب للتقوى؛ لقوله: «لعلكم تتقون»، وأن من لم يظهر عليه أثر التقوى بالصيام، فصيامه ناقص؛ ولهذا قال النبي ﷺ : «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس الله حاجة في أن يدع

سورة البقرة

١٦٣٩

طعامه وشرابه»(١). ففائدة الصيام وحكمة الصيام: تقوى الصائم الله - عز وجل -، فلا يرفث، ولا يفسق، بل لو قاتله أحد أو شاتمه فليقل: «إني صائم» (٢).
6 ـ إثبات الحكمة في شرع الله ـ عز وجل ـ وأنه ـ جل وعلا ـ لا يشرع شيئا إلا لحكمة، سواء علمناها أم لم نعلمها، فإن علمناها، فهذا من فضل الله علينا؛ حيث نعرف به كمال الله - عز وجل -، وكال شريعته، وتطمئن نفوسنا أكثر، وإن جهلناها، فما علينا إلا التسليم؛ لقول الله ـ تبارك وتعالى : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله، فقد ضل ضللا مبينا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ـ أن الصيام من مقتضيات الإيمان، حيث وجه الخطاب فيه إلى المؤمنين بقوله: «يتأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام » إلخ.

ثم قال ـ تعالى ـ: « أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خيرله، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [البقرة: ١٨٤].

(١) رواه البخاري كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم (١٩٠٣). (٢) وذلك كما ورد في الحديث الذي رواه البخاري كتاب الصوم، باب هل يقول : إني صائم إذا شتم، رقم (١٩٠٤)، ومسلم كتاب الصيام، باب فضل الصيام، رقم (١١٥١).

640

أحكام من القرآن الكريم

أياما معدودات ؟ يعني: أن الصوم المفروض ليس شهورا، ولا
سنوات، ولا أياما طويلة. بل هو أياما معدودات. فمن كان منكم مريضا ؟ يعني: وشق عليه الصوم. (أو على سفر فعدة من أيام أخر عدة: مبتدأ خبره محذوف والتقدير: فعليه عدة من أيام أخر.
وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين * يعني: على الذين

يستطيعونه.
فدية طعام مسكين * أي: إذا لم يريدوا الصوم. «فمن تطوع خيرا فهو خيرله » يعني: فمن تطوع خيرا ببذل

الفدية، فهو خير له.

وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون يعني: إن كنتم من

ذوي العلم.
ثم بين هذه الأيام المعدودات في قوله: «شهر رمضان﴾ [البقرة:185].

ع
في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام ، ما يلي: ١- تصوير الأمر الشاق بأمر سهل، حتى تنشط النفوس وتقبل عليه؛ لقوله: «أياما معدودات فإن الله - تعالى - عرض الصوم هذا المعرض الذي يسهل على المرء أن يقوم بالصيام. ٢- أن المريض لا يلزمه الصوم أداء، بل له أن يؤخره حتى يبرأ؛ لقوله: «فعدة من أيام أخر» والمرض هنا مطلق، فيقتضي أي مرض

سورة البقرة

641

كان، سواء كان المرض في عضو من أعضائه، أو في كل بدنه، وسواء كان بالحمى أو غيرها. لكن هل يشترط أن يكون المرض شاقا؟ يقال: نعم. لا بد أن يكون هذا المرض شاقا على الإنسان أن يصوم مع وجوده، فأما إذا كان لا يشق عليه، فلا وجه لكونه عذرا. هذا هو الذي عليه جمهور الأمة.

3- أن من كان مسافرا، فإنه لا يلزمه أداء الصوم، بل له أن يؤخره إلى وقت آخر. وقد دلت النصوص على أن السفر إن كان لا توجد فيه مشقة بالصوم، فالأفضل أن يصوم؛ إقتداء برسول الله ﷺ، وتعجلا لإبراء الذمة، ولأنه أسهل من القضاء ـ كما هو معروف ـ وأما إذا كان فيه شيء من المشقة، فالأفضل الفطر، وليس من البر أن يصوم. وأما إذا كان فيه مشقة شديدة، فإن الصوم يحرم؛ لأن النبي ﷺ شكي إليه ما يجده الناس من الصوم، فأفطرو والناس ينظرون إليه، ثم قيل له: إن
بعض الناس قد صام، فقال: «أولئك العصاة، أولئك العصاة»(1).

فيكون الصوم في السفر على هذه الوجوه الثلاثة. وللمسافر أن يفطر وإن لم يشق عليه الصوم؛ لأن الصحابة مع النبي ﷺ كان منهم الصائم، ومنهم المفطر، ولا يعيب بعضهم على بعض.

(ا) رواه مسلم كتاب الصيام، باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية...، رقم (١١١٤).

= ٦٤٢١

أحكام من القرآن الكريم

٤ـ أن الصيام أول ما فرض، كان الناس فيه مخرين بين الصوم والإطعام؛ لقوله: «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون .

وهذا هو الصحيح من تفسير الآية الكريمة: أنها دالة على التخيير الذي كان في أول الأمر، وقد دل على ذلك حديث سلمة بن الأكوع، الثابت في الصحيحين، قال: (لما نزلت:(وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين * ، كان من أراد أن يفطر ويفتدي، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها(ا).

وقال بعض أهل العلم: إن معنى قوله: «يطيقونه * يطوقونه أي: يبلغ طاقتهم، ويتكلفون به، فعليهم فدية، لكن هذا القول ينقضه قوله: «وأن تصوموا خير لكم »، فإن هذا يدل على أن المخاطب قادر على الصيام. وقال بعضهم: إن معنى يطيقونه» أي: لا يطيقونه. وهذا أبعد

وأبعد. فالصواب ما ذكرنا: أن الآية دالة على التخيير بين
الإطعام والصيام الذي كان جائزا في أول الأمر، ثم تعين الصيام. 5- بيان حكمة الله - عز وجل - في التشريع. وأنه - سبحانه وتعالى - يشرع الأحكام شيئا فشيئا خصوصا فيما يشق على الناس، ألا ترى أنه

(1) رواه البخاري كتاب التفسير، باب « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » رقم (٤٥٠٧)، ومسلم كتاب الصيام، باب بيان نسخ (وعلى الذين يطيقونه فدية ؟ رقم (١١٤٥).

سورة البقرة

643

سبحانه وتعالى - حين أراد أن يحرم الخمر، جعل تحريمه متدرجا، وهكذا الصوم، لما أراد - عز وجل - أن يفرضه على العباد، جعل فرضه متدرجا. ففي أول الأمر يخير الإنسان بين أن يصوم أو يفدي، ثم تعين الصوم.

ج
6 - أن التطوع بالعبادات خير، سواء كان في أعلى المقامات، أو فيا دونه؛ لقوله: «فمن تطوع خيرا فهو خير له، وأن تصوموا خير لكم - أن الأعمال تتفاضل جنسا ونوعا؛ لقوله: «فمن تطوع خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم ؟. ٨- محبة الله - تعالى - للصوم؛ لقوله: «وأن تصوموا خير لكم » ٩- توجيه الخطاب لذوي العلم؛ لقوله: «إن كنتم تعلمون . ١٠- فضيلة العلم، وأن الإنسان يدرك به ما يخفى على غيره.
ج

*

ثم قال الله - تبارك وتعالى -: * شهر رمضان الذي أنزل فيه القرءان هدى للناس وبينت من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هدتكم ولعلكم تشكرون ۞ [البقرة: 185].
قوله: «شهر رمضان » هو الشهر الذي بين شعبان وشوال، وسمي بذلك؛ لأنه كان - حين التسمية - موافقا لشدة الرمضاء والحر.

= 644

أحكام من القرآن الكريم

الذي أنزل فيه القرءان »أي : أنزله الله ـ عـز وجـل ـ فإن الله ـ
تعالى ـ أنزل القرآن في ليلة القدر، أي: ابتـداء إنزالـه، وليلـة القـدر في
رمضان.

وهدى للناس هدي: مفعول لأجله، أي: أنزل القرآن لأجـل
هداية الناس.

وبينت من الهدى والفرقان » أي: علامات واضحة من الهـدى والفرقان؛ لأن هـذا الـقـرآن
الـكـريـم يـشتمل على التفريـق بـيـن الحـق والباطل، وبين أهل الخير وأهل الشر.

فمن شهد منكم الشهر فليصمه » شهد، بمعنى: شـاهد، ويحتمـل

أن تكون بمعنى: حضر.
ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وسبق القـول فيها.

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر» أي: يحب أن ييسر
عليكم، ولا يحب أن يعسر عليكم، فالإرادة ـ هنا ـ شرعية. ولتكملوا العدة » . «الواو»: حرف
عطف، والمعطوف عليه محذوف يعلم من السياق، فكأنه قال: لتقوموا بطاعته ولتكملوا
العـدة. أي: عدة الشهر.

ولتكبروا الله على ما هدنكم» أي: من أجل هدايته إياكم. ولعلكم تشكروت؟ .

سورة البقـرة

٦٤٥|

في هذه الآية الكريمة من الفوائد والأحكام، ما يلي: 1ـ أن الصوم الذي كتبه الله علينـا، معيـن

في وقت معين، وهو
شهر رمضان.
٢ـ أن القرآن نزل في رمضان، أي: ابتدأ الله إنزاله على محمد ﷺ في

رمضان.
3ـ إثبات علو الله؛ لقوله: «الذي أنزل فيه القرءان » ؛ لأن من المعلوم أن القرآن كلام الله، فإذا كان منزلا، كان الذي تكلم به عاليا، جل وعلا.
٤ـ أن القرآن هدى وبيان وفرقان؛ لقوله: «هدى للناس وبينت من الهدى والفرقان ←.
هـ الحث على تدبر القرآن؛ حيث جعله الله ـ عز وجل -: «هدى للناس»، ومعلوم أن الإنسان يطلب الهدى من أي مكان كان، وهذا يحصل بالتدبر ـ أي: تدبر القرآن ـ فمن تدبر القرآن طالبا الهدى منه، تبين له طريق الحق.

6ـ وجوب صوم رمضان بمشاهدة ـ أو شهود ـ هلاله؛ لقوله: «فمن شهد منكم الشهر فليصمة». وقد تبين بالسنة أن دخول شهر رمضان يثبت بشهادة واحد من الناس، فإن رجلا جاء إلى النبي ﷺ وأخبره أنه رأى الهلال، فقال له: (أتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله؟ قال: نعم. فأمر بلالا أن يؤذن في الناس أن يصوموا

١١٦٤٦

أحكام من القرآن الكريم

غدا)). وكذلك ابن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال: تراءى الناس الهلال، فأخبرت النبي ﷺ أني رأيته، فصامه، وأمر الناس بصيامه). أن الهلال إذا شوهد في مكان، ولم يشاهد في مكان آخر، فإنه لا يجب على من لم يشاهده أن يصوم؛ لأن الله ـ تعالى ـ علق وجوب الصوم بشهود الهلال. وهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم، فمنهم من قال: إنه إذا ثبتت رؤية هلال رمضان، وجب على جميع الأمة الإسلامية أن تصوم في أي قطر كانت، ومنهم من قال: إذا كان الناس تحت ولاية واحدة، وشوهد في هذه الولاية، وجب على كل أهل الولاية أن يصوموا، ولا فرق بين من رآه ومن لم يره، ومنهم من قال: من رآه وجب عليه الصوم، ومن لم يره لم يجب عليه. قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: تختلف مطالع الهلال، باتفاق أهل المعرفة.

فإن اتفقت المطالع وجب الصوم، وإلا فلا. وعمل الناس ـ غالبا ـ اليوم أنهم يتبعون من ثبت

الشهر عنده على

(١) رواه الترمذي كتاب الصوم، باب ما جاء في الصوم بالشهادة، رقم (691)، والنسائي: كتاب الصيام، باب قبول شهادة الرجل الواحد على هلال رمضان، رقم (٢١١٢، ٢١١٣)، وأبو داود كتاب الصوم، باب في شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان، رقم (٢٣٤٠)، وابن ماجة: كتاب الصيام، باب ما جاء في الشهادة على رؤية الهلال ، رقم (١٦٥٢)، والدارمي

(١٦٩٢).

(٢) رواه أبو داود كتاب الصوم، باب في شهادة الواحد على رؤية هلال رمضان رقم (٢٣٤٢)، والدارمي (١٦٩١).

سورة البقرة

٦٤٧

وجه يثقون به.
هـ أن الإنسان إذا فاته الشهر كاملا، وكان الشهر ناقصا ـ أي: كان تسعة وعشرين يوما ـ فإنه لا يلزمه أن يقضي ثلاثين يوما، بل لا يقضي إلا تسعة وعشرين يوما؛ لقوله ـ تعالى ـ: «فعدة من أيام أخره. وظاهر الآية الكريمة: أنه لا فرق بين أن تكون هذه الأيام في العام الذي حصل فيه الفطر، أو فيها بعدها، ولكن قد دلت السنة أنه لا يؤخر القضاء إلى ما بعد رمضان الثاني، قالت عائشة ـ رضي الله عنها : «كان يكون علي الصوم من رمضان، فما أستطيع أن أقضيه إلا في شعبان»(). وهذا يدل على أنه لا يؤخر إلى ما بعد رمضان الثاني، وإلا لكان ما بعد رمضان الثاني وما قبله سواء.
9 ـ أن الله - سبحانه وتعالى ـ كتب على عباده ما كتب من الفرائض، لا للإشقاق عليهم، ولا لإلحاق الحرج بهم، ولكنه ـ عز وجل ـ يريد بذلك التيسير والتسهيل؛ لقوله: «يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العشرة، وفي هذا إشارة إلى أن الأفضل للمريض الذي يشق عليه الصوم، أو المسافر الذي يشق عليه الصوم، أن يفطر؛ لأن هذا هو الأيسر في حقه.
١٠ـ أنه إذا تعارضت الأدلة في حكم من الأحكام، ولم يتبين

(١) رواه البخاري كتاب الصوم، باب متى يقضي قضاء رمضان، رقم (١٩٥٠)، ومسلم: كتاب الصيام، باب قضاء رمضان في شعبان، رقم (١١٤٦).

رجحان أحدها على الآخر، فإن مقتضى إرادة الله اليسر على العباد أن يؤخذ بالأيسر. وهذا هو القول الراجح، أنه إذا تعارضت الأدلة في حكم من الأحكام ـ يعني: بعضها يفيد التحريم، وبعضها يفيد الحل - واشتبه الأمر، فإننا نأخذ بالأيسر؛ لأن ذلك هو الموافق لقوله ـ تعالى -:يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر. ١١ـ الحث على إكمال العدة على الوجه المطلوب؛ لقوله: ولتكملوا العدة ؟.

١٢ـ تكبير الله - سبحانه وتعالى ـ عند انتهاء العدة، على هدايته لنا وتسهيل الصوم علينا؛ لقول الله ـ تبارك وتعالى : ولتكبروا الله على ما هديكم ؟ . وهذا يكون بعد غروب الشمس من آخر يوم من رمضان إلى أن يحضر الإمام لصلاة العيد، فيكبر الناس في الأسواق والمساجد والبيوت، يجهر بذلك الرجال، وتسر به النساء.وصفة التكبير أن يقول: الله أكبر. الله أكبر. لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، أو يقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر. الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، كل هذا جائز. 13ـ أنه يجب أن نعترف الله بالفضل على هدايته إيانا؛ لقوله ـ تعالى -: (ولتكبروا الله على ما هدنكم ولعلكم تشكروت . ١٤ـ الحث على الشكر، والشكر هو: القيام بطاعة المنعم، عقيدة وقولاً، وعملا.نسأل الله أن يعيننا جميعا على ذكره، وشكره، وحسن

عبادته، وأن ييسر لنا الأمور، رب اشرح لي صدري، ويسر لي أمري. اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والغنيمة من كل بر، والسلامة من كل إثم، والفوز بالجنة، والنجاة من النار.

ثم قال الله ـ تعالى : (وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدوت »
[البقرة: ١٨٦].

وإذا سألك عبادي ← الخطاب في هذه الآية لرسول الله ﷺ والمراد بالعباد هنا: عباد الشريعة، يعني: العباد الذين يتعبدون الله - تعالى ـ با شرع، فهي العبودية الخاصة. وقوله - تعالى -: «فإني قريب * هذا القرب حقيقي، ولكنه لا ينافي ما ذكر من علوه جل وعلا. فإنه قريب في علوه، علي في دنوه؛ لأنه ـ جل وعلا ـ عال فوق خلقه، مستو على عرشه.
أجيب دعوة الداع إذا دعان) يعني: أن الإنسان إذا دعا ربه
فإن الله ـ تعالى ـ يجيب دعاءه..ولكن لإجابة الدعاء شروط: منها: الإخلاص لله ـ عز وجل ـ بألا يشرك معه أحدا في دعائه. ومنها: حسن الظن بالله، أن يجيب دعاءه.

ومنها: شعور الإنسان بالافتقار إلى الله تبارك وتعالى. ومنها: اجتناب أكل الحرام؛ لأن أكل الحرام من موانع إجابة